تاسعا- مناهج البحث:

إن تطلعات الباحث عند الانطلاق في بحثه قد تكون متوجهة نحو نتائج البحث وما الذي سيصل إليه ، إلا أن النتائج المرجوة لا يمكن تحقيقها إليها إلا من خلال السير بخطوات منظمة ومنسقة ، وهو ما يطلق عليه المنهج . فالبحث العلمي لا يقوم وفق مسار فوضوي بل وفق مسار واضح و ممنهج .

1- تعريف المنهج:

معنى المنهج ترجمة لكلمة Method وهو الطريق أو الأسلوب أو الكيفية التي يصل بها الباحث أو العالم إلى نتائجه وهو وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة وقد استعملها "أفلاطون" بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة واستعملها "أرسطو" بمعنى البحث والمعنى اشتقاق لها في الأصل من اليونانية يدّل على الطريق المؤدي إلى الغرض المطلوب من خلال المصاعب والعقبات[1].

ويعرفه "رونز" بانه أساليب المعرفة لنا تستخدم في عملية تحصيل المعرفة الخاصة بموضوع معين ، وهو علم يعتني بصياغة القواعد الخاصة بإجراء ما.

أما "بيتل" فعرفه بأنه الترتيب الصائب للعمليات العقلية التي تقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها [2].

و ترى " مادلين غرافيتس " بان المنهج هو مجموعة العمليات المصممة من أجل بلوغ هدف أو مجموعة من الأهداف ، وهو جسم من المبادئ التي تسبق كل بحث منظم ، وهو مجموعة من التقنيات ، تكون - بشكل أكثر أو أقل تجريد – مع الهدف مخطط عمل[3].

والمنهج هو العمود الفقري في تصميم البحوث الاجتماعية لأنه يسمح بتحديد المفاهيم وشرح المعاني الإجرائية وتحديد مجتمع البحث[4]، فيشير إلى الدراسة المنظمة والمنطقية للقواعد التي يسترشد بها الباحث في القيام بالبحث العلمي[5]، فيتضمن بذلك دراسة وتقسيم طرق ووسائل وأدوات وإجراءات البحث العلمي ، وما قد يؤثر على القيام به ، كما يتضمن كذلك دراسة الأسس العامة لإثبات الفروض والنظريات بغض النظر عن ماهية الفروض والنظريات ،فهو بذلك الطريقة التي يسلكها الباحث للوصول إلى نتيجة معينة .[6]

وإن استخدام واختيار المنهج يختلف باختلاف طبيعة المواضيع والظواهر التي تتناولها العلوم الاجتماعية ,فالباحث بحاجة إلى منهج يتبعه في كل مراحل بحثه و المنهج هو عبارة عن مجموعة العمليات و الخطوات التي يتبعها الباحث بغية تحقيق ضبط و أهداف وأسئلة وفروض البحث[7]، وبالتالي فالمنهج ضروري للبحث، وكل دراسة علمية تحتاج إلى منهج يوافق البحث يقودها للوصول إلى نتائج معينة لهذا البحث ، فلابد على الباحث تطبيق منهج في الموضوعات السوسيولوجية يتوافق لطبيعة الموضوع والمشكلة المراد دراستها، و الأهداف التي تستهدف تحقيقها .

2- خطوات المنهج:

لقد اختلفت خطوات المنهج باختلاف اراء الباحثين والمفكرين ، ونذكر من بينهم ابن خلدون وايميل دوركايم .

أ- خطوات المنهج عند ابن خلدون:

الخطوة الاولى :

أشار إلى ضرورة البدء بالنقد المنهجي لأخطاء السابقين في فهم الظاهرة الاجتماعية بما فيها من تشيع للآراء و المذاهب .

الخطوة الثانية :

تأكيده على ضرورة الملاحظة المباشرة للظواهر الاجتماعية فهي السبيل إلى المعرفة ، فيرى بأن الملاحظة كخطوة أساسية لتناول ظواهر العمران لقناعاته بأن القياس المنطقي لا يتفق في غالب الأمر مع طبيعة الأشياء المحسوسة.

الخطوة الثالثة :

تتمثل في ضرورة الاعتماد على منطق المقارنة في دراسة الظواهر الاجتماعية.

الخطوة رابعة :

كما يؤكد على ضرورة قياس الأخبار على أصول وطبائع العمران وهي ومكملة للمقارنة ومتممة.

الخطوة الخامسة :

تتمثل في ضرورة تفسير الظواهر الاجتماعية واستخدام منطق التحليل أي الكشف عن عللها وأسبابها[8].

ب- خطوات المنهج عند إيميل دوركايم:

الخطوة الاولى :

تبدأ خطوات البحث عنده بنقد الآراء السابقة حول الظاهرة والتحرر منه.

الخطوة الثانية :

تتمثل في البحث عن نشأة الظواهر الاجتماعية.

الخطوة الثالثة:

تتمثل في دراسة التي تربط الظاهرة الاجتماعية البحث بالظواهر الاجتماعية الأخرى.

الخطوة الرابعة :

الكشف عن الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها الظاهرة واستخدام مفهوم الوظيفة بدلاً من مصطلح الغاية لقناعته بأن الظواهر الاجتماعية لا توجد بصفة عامة من أجل تحقيق النتائج المفيدة التي تؤديها بذلك يفضل الحديث في الطبيعة العامة لظاهرة اجتماعية.

الخطوة الخامسة :

الاستناد لمنطق المقارنة في دراسة الظاهرة اجتماعية إذ أن البرهنة على أن الظاهرة اجتماعية سبب في وجود ظاهرة أخرى والكشف عن القوانين وصياغتها بدقة.

3- أنواع المناهج:

بما ان البحث العلمي هو الوسيلة الرئيسة لإثراء المعرفة العلمية ، وهذا البحث لا يتحقق الا بتباع او انتهاج منهج علمي سليم ، وتتنوع المناهج وتختلف حسي الظاهرة المدروسة، فلكل ظاهرة سوسيولوجية منهجه الخاص الذي يتبعه الباحث من اجل تحقيق الهدف المنشود والوصول الى النتائج الدقيقة .

أ-المنهج التاريخي:

هو المستخدم في دراسة الوقائع التي هي حكم الماضي ونعني به تحليل الظاهرة بحثية معينة في إطار الأحداث والوقائع التي تمت بالفعل في الأبعاد الزمنية الماضية واستخلاص نتائج وفق قواعد وتنظيمات معينة وأجراء مقارنات مع الوقائع المشابهة بحيث يمكن على

ضوئها الوصول إلى حلول للمشكلة أو الظاهرة في ظل دراسة التجارب التاريخية خاصة وأن محور المعارف الإنسانية وتراكماتها تمت في الأبعاد الزمنية الماضية.

ويتضمن المنهج التاريخي اسس مختلفة تتمثل فمايلي :

- ✓ تحديد المشكلة أو الظاهرة محل البحث بدقة وموضوعية.
- ✓ الملاحظات والمشاهدات كأحداث مكررة مع إجراء مقابلات مع شهود على الأحداث.
- ✓ جمع مواد تاريخية من مراجع ومخطوطات وكتب تراث ودراسة المذكرات الشخصية والسير الذاتية والبحث في السجلات والوثائق والمساجد و الكنائس .
- ✓ تصنيف وتبويب وتحليل المعلومات وفق الأبعاد الزمنية بدقة [9].
- ✓ تحليل الحوادث التاريخية وتوثيقها بالرجوع لأكثر من مصدر وفق دقة المقارنات.
- ✓ استخلاص نتائج كأدلة ثبوتية للحقائق التاريخية خاصة وأن التوثيق التاريخي يرسخ ويدل على وقائع حدثت بالفعل ويمكن تكرارها وفق مقولة **"التاريخ يعيد نفسه"**
- ✓ اختبار صحة النتائج المتحصل عليها ومقارنتها بالظواهر محل البحث وبلورة صياغتها في إطار صحتها مستقبلا.

ب - المنهج التجريبي:

تطلق على هذا المنهج عدة تسميات منها السبب والأثر وتصميم المجموعات التجريبية والضابطة والمنهج العلمي وتكمن الفكرة الأساسية وراء هذه التسميات في محاولة تفسير التأثير عدة عوامل على إحداث موقف محدد ويحاول المنهج التجريبي أن يضبط موقف البحث بواسطة تصميم تجريبي يشير إلى الطريقة المنطقية التي تتبع في المقارنة بين الحالات الفردية أو بين الوحدات في تحليلها جميعًا وهي الأساس الذي يستند إليه في التوصل إلى التفسيرات من خلال مجموعة البيانات التي جمعت[10].

ويقول "عبد الباسط حسن" يقصد باستخدام الطريقة التجريبية في البحوث الاجتماعية إخضاع الظاهرة موضوع الدراسة للمعالجة التجريبية لتهيئة الظروف التي تساعد على اختيار العوامل المؤثرة على الظاهرة في نشأتها وتغيرها[11].

ويذهب المدافعون عن أهمية استخدام المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية لكون المنهج يتميز بميزتين وهما:

1- فيه يتمكن الباحث من استخدام المتغير التجريبي كيفما يريد، بل وأكثر من ذلك أنه يقوم بتحديد كثافة هذا المتغير و إستمراريته.

2- كما أنه يتمكن من أن يحدد أي موضوع من موضوعات التجربة ذلك الذي سوف يدخل عليه المتغير التجريبي .

إذن فإن المدخل التجريبي يتيح فرصة كبيرة لضبط المتغيرات غير أن التجارب تختلف فيما بينها تبعًا لما إذا كانت تجري في العمل أو الميدان .

و قد أصبح المنهج التجريبي يطبق بالفعل في البحوث الميدانية تجري في مجالات معينة مثل مجال علم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الطب وعلم اجتماع الصناعي.

كما انفتح هذا المنهج على مجالات أوسع عندما طبق على عدد من القرى في إحدى المدن الصناعية[12].

جـ - المنهج الوصفي:

يعني المنهج المتبع لدراسة وإيضاح خصائص الظاهرة أو حالة معينة ، كما هب كائنة في الواقع وتفسيرها وتحديد علاقتها في إطار ظواهرها والمتغيرات المحيطة بها، بالإضافة إلى الإحداثيات التي تقود إلى تعميمات متباينة ولا يشترط هذا المنهج وضع فروض وإجراء تجارب وتحليل علاقات سببية ويتطلب هذا المنهج بجمع بيانات حول الظاهرة محل البحث وفق الملاحظة والمشاهدة وإجراء مسوحات ميدانية والتي تعتمد بدرجة كبيرة على اختيار عينات مناسبة ، بمختلف أنواعها سواءً كانت عينات بسيطة أو عينات عشوائية مع اختيار وتحليل هذه العينات وإجراء مقابلات وعمل استمارات استبيان ومقارنات وقياسات إحصائية ومتابعة تطور الظاهرة بمتغيراتها ثم تصنيف وتبويب هذه المعلومات وترتيبها كحقائق للظاهرة ثم استخلاص نتائج كحقائق علمية من تحليل هذه المعلومات لوضع الحلول للمشكلة أو الظاهرة محل البحث في إطار تعميم الاتجاهات.

ويؤخذ في الاعتبار الأبعاد الزمنية والمكانية للظاهرة وتحليل فعالياتها وفق العد أو القياس باستخدام السلاسل الزمنية لتطور الحادثة وهذا يدعم متطلبات هذا المنهج[13].

ومن هنا يتضح لنا بأن المنهج الوصفي يعني طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية اجتماعية ومشكلة اجتماعية، فهو يقوم على وصف الخصائص المختلفة و يستخدم جمع المعلومات حول الموضوع المراد دراسته من إستخلاص الدلالات و المعاني المختلفة التي تنطوي عليها البيانات والمعلومات التي أمكن الحصول عليها[14]، وكذلك ربط لبعضها واكتشاف العلاقة الموجودة وإعطاء التحليل الملائم لكل ذلك ، لأن الدراسات الوصفية[15] لا تقف عند مجرد جمع البيانات والحقائق، بل تتجه إلى تصنيف هذه الحقائق وتلك البيانات وتحليلها وتفسيرها لإستخلاص دلالاتها وتحديدها بالصورة التي عليها كميا وكيفيا بهدف الوصول إلى نتائج نهائية يمكن تعميمها .

ويستمد المنهج الوصفي أهميته خاصة في العلوم الاجتماعية من حيث تسارع استمرارية تغير الظواهر محل البحث والتعمق فيها أمام سرعة تبدل المتغيرات بحيث لا يمكن أن يقود إلى قواعد وقوانين ونظريات علمية تتصف بالثبات النسبي بجانب صعوبة القياس الكمي وبدقة للظواهر الاجتماعية ومن ثم فالأصوب الوصول للعموميات والاتجاهات عامة وهذا يرسخ أهمية إتباع أهمية المنهج الوصفي عند بحث الظواهر الاجتماعية بعيدًا عن إجراء تجارب ومطابقتها واختبارات الفروض ومدى ملائمتها كما تتطلب المناهج الأخرى والتي هي في حقيقتها أقرب للعلوم الطبيعية التي تقبل التجارب المخبرية وتقاس ظواهرها بدقة كمية مغايرة بذلك طبيعة الظواهر والمتغيرات في العلوم الاجتماعية.

يرسخ الأهمية السابقة للمنهج الوصفي بإتاحة معلومات دقيقة من واقع الظاهرة وتطورها ، و يؤكد الدلالات السابقة تحليل السببية لتطور الظاهرة مع إجراء مقارنات في إطار البحوث والظواهر المماثلة السابقة ، وهذا التحليل يوضح طبيعة العلاقات مما يبرز مختلف الآثار على الظاهرة مفسرًا الواقع ويمنح القدرة التنبؤية للظواهر وفق النتائج[16].

د – المسح الاجتماعي:

يعرف بأنه الدراسة العلمية لظروف المجتمع وحاجاته بقصد تقديم برنامج للإصلاح الاجتماعي حيث يتم التركيز على دراسة الجوانب المرضية للأوضاع الاجتماعية القائمة في منطقة محددة بشكل يمكن معه قياس هذه الأوضاع ومقارنتها بأوضاع أخرى بما يحقق فائدة

في عمليات التخطيط التي تستهدف تنمية الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتوفير الرفاهية والرخاء.

والمسح عبارة عن دراسة الجوانب المترتبة للأوضاع الاجتماعية القائمة في منطقة جغرافية محددة وهذه الأوضاع لها دلالة اجتماعية قائمة ومعينة ويمكن قياسها ومقارنتها بأوضاع أخرى ويمكن قبولها كنموذج وذلك بقصد تقديم برنامج إنشائي للإصلاح الاجتماعي[17].

ومن أهم الموضوعات التي يتناولها المسح الاجتماعي هي:

- **الجوانب الديمغرافية:**

يدرس حالة الأسرة ، عدد الأبناء، السن ، المواليد و الوفيات .

- **الجوانب الاجتماعية والاقتصادية :**

مثل الدخل القومي والفردي المستوى المعيشي والتعليمي ، وكذا المهنة وعدد افراد الاسرة .

- **الجوانب الثقافية** :

المرتبطة بالقيم والعادات والتقاليد.

- و للمسح الاجتماعي انواع نذكر منها مايلي :

1- من ناحية موضوع الدراسة:

أ- المسوح العامة:

هي التي تعالج عدة أوجه من الحياة الاجتماعية لدراسة الجوانب السكانية والتعليمية والزراعية.

ب- المسوح الخاصة (المحددة):

وهي التي تهتم بدراسة شق محددة بنواحي محددة منفردة بالحياة الاجتماعية كالتعليم أو الصحة أو الزراعة .

2- من ناحية المجال البشري:

أ- المسوح الشاملة:

وتقوم بدراسة شاملة لجميع مفردات المجتمع أي لكل أعضاء الجماعة أو المجتمع الأصلي كسكان قرية أو سكان المدينة ويتم ذلك عن طريق الحصر الشامل.

ب- المسح بطريقة العينة:

ويكتفي فيها بدراسة عدد محدد من الحالات أو المفردات في حدود الوقت والجهد والإمكانيات المتوفرة لدى الباحث.

وتفيد المسوح باختلاف انواعها في التخطيط الشامل والتخطيط القطاعي على وجه خاص لتحديد كالتوعية والتدقيق والإرشاد عامة والرعاية الاجتماعية بل وتحقق التنمية الاجتماعية و الاقتصادية[18].

هـ - منهج دراسة الحالة:

هو المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء كانت فردا أو مؤسسة أو نظامًا اجتماعيًا وهو يقوم على دراسة مرحلة معينة من تاريخ الوحدة أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها وكذلك بقصد الوصول إلى تعميمات متعلقة بالوحدة المدروسة أو بغيرها من الوحدات المشابهة.

و يمكن إيجاز خطوات منهج دراسة الحالة فيما يلي:

1- اختيار الحالات التي تمثل المشكلة المدروسة :

وهذه الخطوة تقتضي التركيز على الحالات النموذجية أو عن عينات عشوائية من المشكلة لا تقتضي عينات أو حالات عشوائية من الحالات العامة كما يجب أن تكون العينة كافية وأن يقتصر الباحث على حالات قليلة ودقيقة مما يؤدي إلى دراستها وشمول في آن واحد.

2- جمع المعلومات و تدقيقها:

ويتم ذلك على ضوء فرضية أولية وبعض المعلومات يمكن الحصول عليها من سجلات الأفراد وبعد أن تجمع المعلومات يجب التأكد من صحتها ثم يتم تنظيمها وتنسيقها بين عناصرها.

3- وضع فرضيات أو التشخيص الأولى لعوامل المشكلة:

بعد جمع المعلومات يجب التأكد من صحتها وبعد ذلك يضع الباحث الفرضيات.

ومن ايجابيات دراسة الحالة وميزاتها بأنها تتميز بالعمق والاتساع وتتناول جميع جوانب الظاهرة وفهم خصائص وسمات المميزة لكل الجوانب وترتيبها وتنسق النتائج المتوصل إليها من المعلومات.

وكذلك تتميز بالمرونة لأن هذه الطريقة تسمح للباحث بأن يطور ويعدّل خطة بحثه والتعمق في موضوعه.

بالإضافة الى ذلك فدراسة الحالة تتصف بالقدرة على الوصول إلى تعميمات طالما كانت الحالة مفيدة في موضوع التحليل وتفيد التنبؤ في نطاق حالات مماثلة.

ورغم هذه المزايا تبقى لدراسة الحالة عيوبها وسلبياتها الخاصة والمتمثلة فمايلي :

- يتعذر على دراسة الحالة أنها لا تصلح في تعميم النتائج لأن الدراسة هي العدد قليل من الحالات على أساس الخبرة الشخصية.

- قد تقع دراسة الحالة في أخطاء منها التحيز في اعتماد الباحث على السجلات والوثائق وهنا يجعل الباحث ويطبق ويفسر الحالة على وجهة نظرهِ وفقًا لانفعاله ومعتقداته.

- الجهد الكبير والوقت الطويل الذي تستغرقه دراسة الحالة لكل عملياتها[19].

و- المنهج المقارن:

يمكن القول بأن المنهج المقارن ينطبق على علم الاجتماع بكل فروعه ومجالاته وذلك لأن أي بحث سوسيولوجي ينطبق بالضرورة على مقارنات مع بعض المتغيرات، بالإضافة إلى هذه القضية العامة يلاحظ أن مصطلح المنهج المقارن يكتسب دلالة خاصة في البحث الاجتماعي فهو يقصد به عادة دراسة توزيع الظواهر الاجتماعية في مجتمعات مختلفة أو أنماط محددة في المجتمعات أو في مقارنة النظم الاجتماعية الرئيسية من حيث استمرارها والتطور والتغير الذي يطرأ عليها.

للمنهج المقارن عدة مجالات نذكر منها :

1-دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين أنماط السلوك الاجتماعي ويمكن أن يشمل ذلك السلوك السياسي مثلا السلوك الإجرامي بين معدلات الإجرام وأنماطها في مجتمعات مختلفة أو دراسة السلوك المنحرف في أوضاع اجتماعية متباينة .

2-دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات وعلى الأخص التنظيمات البيروقراطية مثل نقابات العمالة أو التنظيمات السياسية والتنظيمات في المجتمعات المختلفة .

3-دراسة النظم الاجتماعية في مجتمعات مختلفة ويمكن تقسيم دراسة النظم الاجتماعية إلى أقسام فرعية مثل تحليل معايير نظامية العامة أي دراسة الزواج، الأسرة والقرابة ثم دراسة الأنساق الثقافية مثل المعتقدات الدينية دراسة معنى النظم النوعية للعادات.

4-تحليل المجتمعات وذلك عن طريق المقارنة بين المجتمعات وفقًا للنمط الرئيسي الس/ائد للنظم أو التوجيهات الثقافية فيها[20].

---

[1] عبد الرحمن العيسوي،**مناهج البحث العلمي**،دار راتب الجامعية،القاهرة، 1999،ص30.

[2] محمد محمد قاسم ،**المدخل إلى مناهج البحث العلمي**،دار النهضة العربية،بيروت، 1999،ص30.

[3]Grawitz Madeleine , **Méthode de sciences sociales** , Ed , Dalloz , France , 1972 , p 293.

[4] عدلي علي أبو طاحون . **مناهج إجراءات البحث الاجتماعي**، المكتب الجامعي ، 1998 ، ص7 .

[5] محمد شفيق . **الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية** ، المطبعة المصرية ، القاهرة ،1986 ،ص25

[6] عمار بوحوش . **دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1985 ،ص23.

[7] رشيد زرواتي ,**تدريبات على منهجية البحث في العلوم الاجتماعية** ، دار هومة ،الجزائر، 2002، ص 119

[8] السيد علي شتى،**المنهج العلمي وعلم الاجتماع** ،مؤسسة شباب الناشر الجامعية،الإسكندرية،ط3، 1999،ص ص14-17.

[9] المستوخي حمد سليمان، **تقنيات ومناهج البحث العلمي**، دار الفكر العربي،الإسكندرية ، 2002،ص ص 181-182.

[10] سامية محمد جابر ،**علم اجتماع المعاصر** ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، 1990،ص83.7

[11] السيد علي شتى، **المنهج العلمي وعلم الاجتماع** ، ج3، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 1995،ص47.

[12] سامية محمد جابر،مرجع سابق،ص84.

[13] المستوخى حمد سليمان،مرجع سابق،ص ص 117، 178.

[14] عبد الوهاب إبراهيم ، **أسس البحث الاجتماعي** ،مكتبة نهضة الشروق ، القاهرة ،1985 ،ص 40

[15] محمد شفيق ، **البحث العلمي** ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ،2001، ص 108.

[16] المستوخى حمد سليمان،مرجع سابق،ص178.

[17] عبد الهادي أحمد الجوهري،**المدخل إلى المناهج وتصميم البحوث الاجتماعية**، الإسكندرية ، سنة 2002، ص ص 213-214.

[18] نفس المرجع، ص215.

[19] سامية محمد جابر، **منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية** دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية ، بدون سنة نشر، ص ص 223-224.

[20] محمد علي محمد، **علم اجتماع والمنهج العلمي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، 1998، ص ص 299، 230.